ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دور الأرشاد الأسري في مناهضة العنف ضد الأطفال

الدكتور محمود سعدي لفتة
رئيس أبحاث / هيئة رعاية الطفولة

المقدمة:

تعد ظاهرة العنف من الظواهر العالمية حيث تختلف مستوياتها من مجتمع لآخر وحسب خصوصية ونظرة كل مجتمع لهذه الظاهرة حيث أنها تتراوح بين حدود خارجة عن الارادة المجتمعية ، والتي تسترعي أهتمام الجهات المختلفة ذات العلاقة من ناحية والأسرة من ناحية اَخرى.(علاء الدين،٢٠٠٥،ص٧)فالعنف موضوع واسع وشائك حيث هناك العديد من الأمور التي تؤثر على مواقف عدة تجاه العنف . ونظراً لأهمية مرحلة الطفولة لابد من الأشارة هنا الى الأخطار التي يتعرض لها الطفل ومايترتب عنها من آثار سلبية على صحته النفسية في المستقبل.فالأطفال غالباً مايتعرضون للعنف المتمثلة في المعاملة السيئة ومنهم أطفال الشوارع أو فاقدي الرعاية الاسرية لسبب أو لآخر أو الأطفال بصورة عامة نتيجة تعرضهم لأي مظهر من مظاهر الاساءة . فالأطفال يعانون من العنف في البيت داخل أسرهم أو في المدرسة أو في الشارع ولقد أفادت كتابات عدة أن أغلب المجتمعات عرفت أساءة معاملة الأطفال،وتعرض بعضهم للقسوة الشديدة بما فيها أنكار الأطفال الرضع، وتركهم حتى الموت. ولقد شهدت الجزيرة العربية قبل الاسلام مظهراً بشعاً من مظاهر العنف الاسري والاساءة الى الطفل، تمثل في هجر الزوجة التي تلد أناث وعدم الاعتراف بحقوقها، فضلاً عن ظاهرة وأْد الأناث وتمييز الذكورعن الأناث الذي كان منتشراً في ذلك الوقت.فالعنف ضد الأطفال من المواضيع المهمة ، لما لها من أسباب مختلفة ، وهنا يبرز الأهتمام والالتفات الى هذه الظاهرة .فظاهرة العنف هي بحد ذاتها مشكلة وجودية تتباين أسبابها حسب المواقف التي تحيط ببيئة الطفل متمثلة بالاعتداءات المختلفة سواء أكانت جسدية أو نفسية أو لفظية وبذلك تعتبر هذه الظاهرة (الاساءة للاطفال) من أخطر الظواهر التي تحد من بناء وتكامل شخصية الطفل وبالتالي تؤثر على تقدم وتماسك المجتمع. (علاء الدين،٢٠٠٥،ص٦-٧)

الفصل الأول مشكلة البحث:

أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى من حيث تكوينها ووظائفها وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض وهي في نفس الوقت المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الاطفال، ويكتسبون من خلالها معايير الخطأ والصواب ، كما أنها تعد من أهم العوامل المكونة لشخصيتهم،حيث أنها تزود أطفالها بالكثير من الأحتياجات الأساسية والتي من بينها الحب والمودة والعطاء والأستقرار النفسي وتوفير مشاعر الأمن، وعوامل النمو الأنفعالي السوي.ورغم النصوص الشرعية والقانونية وأتفاقيات حقوق الطفل التي تعمل على حماية الطفل وتقنن طريقة التعامل معه في الاسرة. الا أنه يلاحظ أن هذا العصر على وجه الخصوص حافل بالأمثلة والبراهين على ما أصاب العلاقات بين الأباء والأبناء من أختلالات أطاحت بالكثير من توازنها فهو العصر الذي انفجرت فيه موجات عدوان وعدائية مكبوتة من الأمهات والأباء ضد الأبناء حتى أصبح معتاداً مايقرأ في الصحف والتلفزيون عن بيع أب لأبنائه أو قتل أم لأطفالها.ويمثل جانب العلاقات الأنسانية داخل الأسرة أحد تلك الجوانب التي تعرضت لمحاولات من التغيير والتشويه والقطيعة ثم العنف، فأصبحت الأسرة حاضنة لأشكال عديدة من العنف بسبب توتر العلاقات الأنسانية بين أفرادها ، أو لأسباب اَخرى مجتمعية ، فنتيجة للتغيرات المرتبطة بطبيعة الحياة المعاصرة والأنفتاح غير الواعي على سلوكيات العالم المتحضر والمتقدم وتقليد ماتتبذه تلك المجتمعات من سلوك أطاح بقيمها ، نلاحظ نشأة صورة جديدة ومتغيرة من الظواهر والمشكلات التي تواجه حياة الأسرة ، ومنها ظاهرة العنف الاسري التي يكاد لايخلو منها مجتمع سواء وصف بالمتقدم أو المتخلف وهي ظاهرة ماتزال تتفاقم وتنمو بشكل مضطرد حتى بدأت السيطرة عليها أمراً بالغ الصعوبة بسبب خصوصية المشكلة.حيث أن المراحل الأولى من حياة الطفل هي الأساس الذي تبنى عليه شخصية الانسان وتحدد تصرفاته ونمط سلوكه واهتماماته العقلية واتجاهاته الانفعالية ، فنشأ الطفل نفسياً ورعايته في المراحل الأولى من حياته لها أثر بالغ في سلوكه فيما بعد ، حيث أن لم يحاط الطفل بالبيئة الآمنة والمساندة له تعمل على أثارة مشاعر مختلفة من الأضطرابات النفسية.(العيسوي،٢٠٠٤،ص١١٤) أن التكوين النفسي للطفل ونمو شخصيته يتأثر بشتى مظاهر العنف المؤثرة في نفسيته وهذا التأثير يختلف في كل مرحلة من مراحل نموه وتطوره، حيث أن فترة من

الطفولة الى سن البلوغ تتميز بتعارض بين التكوين النفسي للفرد وبين العوامل الخارجية من شأنه أن يدفع الطفل الى أعمال العنف لهذا التأثير فأنه لايمكن أن يتم فصل العوامل النفسية المؤدية للعدوانية عن العولمل ذات المؤثر الخارجي نتيجة العنف .(العمر،٢٠١٠،ص١٣)أن معظم الحالات النفسية المضطربة ترجع الى البيئة التي ينشأ فيها الطفل فأن مثيرات العنف تأخذ طابعاً قد يكون جسدياً أو لفظياً أو مشاهدة مناظر مثيرة للعنف بالأضافة الى مشاهد مختلفة عبر وسائل الأعلام المتمثل بالافلام المثيرة للعنف والجريمة حيث أن هذه المشاهد تعمل على المدى الطويل الى الاحساس بمشاعر العنف والعدوانية كأستجابة لأي موقف متأزم قد يتعرض لها الطفل أو ممارسة سلوك ذات طابع عدواني وعليه فأن أنتشار ظاهرة العنف ضد الاطفال (ظاهرة خطيرة) على المدى البعيد لأنها تؤدي الى حدوث الاضرار والتي تمتد آثارها الى المستقبل القريب من حياة الطفل. (اليونسيف،١٩٩٧،ص٢١)

أهمية البحث :

أن خطورة العنف الاسري تكمن في نقطتين مهمتين الأولى: هي أن العنف يحدث خفي وراء الأبواب المغلقة للمنازل ، والثانية: تتمثل في عدم توافر بيانات أحصائية حقيقية عن هذه الظاهرة المعلنة الخفية في المجتمعات . أن ممارسة العنف ضد الأطفال تجعل من راشد الغد لا يستجيب للمتغيرات البيئية الا في أطار من العدوانية والعنف بداية من سلوكه وهو طفل صغير .ويعد العنف ضد الأطفال ظاهرة خطيرة تهدد حياة هذه الفئة من ناحية الصحة النفسية للأطفال فهي ظاهرة معقدة تقف وراءها أسباب مختلفة ، فهناك بعض الظواهر والتي قد يتعرض لها الأطفال مكونة ذكريات وأفكار ومشاعر مؤلمة ، وقد يشعرون بالخوف الذي يترجم الى قلق في حين يشعر البعض الآخر من الأطفال بالغضب البالغ وهنا قد يتحول الى سلوك العدوان وهو قد تكون كرد فعل لأي شكل من أشكال الأعتداءات أو الأساءات المتمثلة بسوء المعاملة . وان العنف الموجه ضد الاطفال قد يطور بعد ذلك أن يكون الأطفال عدوانيين أذا ماتم الأستمرار في مواقف تثير الغضب بدون أن يكون هناك سيطرة على السلوك.هذا بالأضافة الى الانعكاسات المؤثرة لتنمية الأطفال وقد يؤدي الى الاصابة أو الفاة أي التاثيرات الجسدية والنفسية بصورة عامة .أن ممارسة العنف ضد الأطفال ينعكس أنعكاساً خطيراً على المجتمع نظراً لما ينجم عن العنف من حالات التشرد والأنحراف من ناحية ،وحالات من مرض نفسي وعقلي من ناحية آخرى وفي أحسن الحالات التي ينجو فيها الطفل من هذين المظهرين فأنه يصبح نموذجاً رديئاً للتنشئة الاجتماعية في المستقبل ويبقى المجتمع الخاسر الأكبر في تلك العملية.ووفقاً لدراسة قامت بها منظمة اللأمم المتحدة لرعاية الطفولة والأمومة "اليونسيف" (٢٠٠٦) يتضح مدى خطورة العنف على مخ الطفل في مراحل النمو، ففي الستة شهور الأولى يتشكل (٥٠٪) فقط من جهاز المخ، ثم يستمر بالنمو حتى سن العاشرة. وبالنظر المتفحص في التحليلات الطبية تتضح لنا مدى عواقب ممارسة العنف في هذه الفترة الحرجة والخطيرة من عمر الطفل والمعروفة بفترة التكوين والنمو فأذا تعرض الطفل لأي نوع من أنواع العنف ينطبع أثر ذلك على فكره ومخيلته وكيانه الذهني والنفسي وتتشكل شخصيته حسب مااختزنته الذاكرة بصورة لاأرادية في العقل الباطن. وقد أقرت منظمة الصحة العالمية أن مايتراوح بين (٨٠-٩٨٪) من الأطفال يتعرضون للعنف المنزلي وحوالي (٥٣٠٠٠) طفل قد توفي في عام ٢٠٠٢ نتيجة للقتل, وأن ٢٠٠٠-٥٠٠٠ طفل يقتلون سنوياً من قبل آبائهم (منظمة الصحة العالمية،٢٠٠٤،ص٦)وبالرغم من أننا في مجتمعنا العربي مازلنا نعتبر مثل هذه الأشكال من العنف الأسري والتعسف في أستخدام حق التأديب المقرر في الشريعة الأسلامية أو القانون الوضعي أو أتفاقية حقوق الطفل مازالت قليلة نسبياً وذلك بالقياس الى مدى تفشيها في المجتمعات الغربية الا أن الامانة تقتضينا أن نعترف بأنها أصبحت في تزايد مستمر بحيث أن التهوين من شأنها أو التقليل من خطر تفشيها أو تفاقمها في مجتمعاتنا بحيث يمكن أن تصل الى حد (الوباء) أو يمكن أن تتخطى مستوى (الضغوط النفسية والاجتماعية) بدرجتها المختلفة الى حد تفجر (الأزمة) بكل ما تنطوي عليه الأزمات من حدة وعنف يصعب أدراكها أو السيطرة عليها.كما أن المشكلة ليست في وجود العنف في حد ذاته،فهو موجود بوجود الموجود أي الانسان وأنما المشكلة أصبحت في أتساع مساحة ممارسة العنف وأزدياد الجريمة. والسياق الأسري يمارس أول وأعمق تأثير على تكوين شخصية الطفل مما ينعكس بآثار غائرة عليه في سنواته اللاحقة أما أن يكون الطفل سوي أو جانح. وأستخدام العنف الوالدي تجاه الطفل في الأسرة مشكلة خطيرة تهدد كيان وأستقرار وتماسك الأسرة وتلقى بظلالها الكئيبة المظلمة على المجتمع بأسره مما يجعلنا بحاجة ماسة لفهم هذه الظاهرة والوقوف عندها ومعرفة أسبابها ووضع الحلول الناجعة للحد من هذه الظاهرة الخطيرة.أن مظاهر العنف قد تنعكس آثارها السلبية في أحداث مشاكل سلوكية متمثلة بالعدوانية والغضب والخوف والقلق وتدني أحترام الذات ، وهذا ماأكدته غالبية الدراسات على أن الأطفال المعرضين للعنف هم أكثر تأثيراً بالسلوك العدواني مقارنة بالأطفال الغير معرضين للعنف ، هذا بالأضافة لى أن هذه الفئة المعرضة للعنف تكون ذات كفاءة متدنية ويكونون مصابين بالصدمة النفسية المؤثرة على الاداء المعرفي في كافة مجالات الحياة العلمية والاكاديمية حيث هناك علاقة وثيقة بين نمو الطفل والتأثير على القدرة الفكرية واكتساب المهارات العلمية ، هذا بالأضافة الى هناك آثار تظهر على المدى البعيد

بالنسبة للاطفال المعرضين للعنف متمثلة بالتصرفات العنيفة مثل (الكراهية ، اعتداءات جسمية ولفظية ، التوجه الى أشخاص أو جماعات منحرفة) فأستقرار الاطفال مرتبط بأستقرار البيئة التي ينتمون اليها وبما توفر تلك البيئة لهم الحماية واشباع الحاجات الاساسية وبذلك يمتلك الشعور بالأمان والطمأنينة وعدم الخوف الذي من شأنه أن يسهم في تنشئة جيل قادر على العمل والأنتاج. (القائمي ، ١٩٩٦،ص٨٥-٨٦).

أهداف البحث:

١-التعرف على دور الأرشاد الأسري في مناهضة العنف ضد الأطفال .

٢-التعرف على أهم الأسباب الأساسية لمظاهر العنف وكيفية مواجهته.

٣-وضع الحلول والمعالجات والتوصيات بغية التقليل من ظاهرة العنف ضد الأطفال.

تحديد وتعريف المصطلحات:

أولاً: الأرشاد الأسري: هو عملية مساعدة أفراد الأسرة (الوالدين والأولاد والأقارب) أفراد أو جماعة ، في فهم الحياة الأسرية ومسؤلياتها لتحقيق الأستقرار والتوافق الأسري وحل المشكلات الأسرية. (زهران،١٩٨٠،ص٤٠٥)ويهدف الارشاد الأسري الى تحقيق سعادة واستقرار واستمرار الأسرة وبالتالي سعادة المجتمع واستقراره.

ثانياً:العنف:

١- تعرف منظمة الصحة العالمية (للعنف) على أنه " الأستعمال المتعمد للقوة الفيزيائية , المادية , أو القدرة سواء بالتهديد أو الأستعمال المادي الحقيقي ضد الذات أو ضد شخص اَخر أو ضد مجموعة أو مجتمع , بحيث يؤدي الى حدوث أصابة أو موت أو أصابة نفسية أو سوء النماء أو الحرمان , ويشمل أشكال العنف أو الضرر أو الأساءة البدنية أو العقلية أو الأهمال أو المعاملة المنطوية على أهمال أو أساءة أو الأستغلال"(منظمة الصحة العالمية،٢٠٠٤،ص٨)

٢- يعرف علماء النفس العنف بأنه "مدى واسع من السلوك الذي يعبر عن حالة أنفعالية تنتهي بأيقاع الأذى أو الضرر بالآخر سواء أكان فرداً أو شيئاً ممثلاً في الأيذاء البدني أو الهجوم اللفظي أو تحطيم الممتلكات وقد يصل الى حد التهديد بالقتل"ويقصد بمصطلح "العنف ضد الأطفال" كل ما يوقع الأذى أو الضرر على المعنف ضد الأطفال Violence Against Children "يكاد أن يتطابق مع مفهوم "الإساءة إلى الطفل " Child Abuse، لأن مفهوم الإساءة يتضمن المعنى نفسه وبالتالي يمكن أن يستخدم كل من المصطلحين ليشير إلى المعنى نفسه، ويمكن استخدامهابالتبادل. والحقيقة أن الأطفال طالما تعرضوا لشتى صنوف الإساءة على مدى الأزمان والأماكن المختلفة. وكان هذا الواقع وراء ظهور حركة مناهضة العنف ضد الأطفال أو الإساءة إليهم، وإلى ضرورة مراعاة خصوصيتهم كأطفال صغار، لهم حاجات تختلف عن حاجات الكبار، ولهم قدر من الطاقة والتحمل أقل مما هو لدى الكبار، والآثار الوخيمة التي تترتب على إهمال شأنهم أو إغفال الفروق بينهم وبين الكبار. بل إنها أصبحت زلة من الزلات تتناولها المعاجم والقواميس المتخصصة في علم النفس والطب النفسي، وكذلك أدلة التشخيص الطبي تحت اسم "أزمة الطفل المساء وإذا كانت مفاهيم "العنف ضد الأطفال" و "الإساءة إلى الطفل" و "الطفل المساء معاملته" وهي مفاهيم متكافئة وتشير إلى المعنى نفسه تقريبًا. قد استقرت في المجال، فإن أصحاب كل تخصص أو كل مجال فرعي يركِّزون على جانب معين من المفهوم حسب طبيعة التخصص والميدان النوعي الذي يُستخدم فهي المصطلح. فهناك المفهوم الشرعي للعنف ضد الأطفال، كما أن هناك المفهوم القانوني للعنف، وكذلك هنا المفهوم النفسي للعنف فالمفهوم الشرعي للإساءة أو العنف ضد الطفل ينطلق من حقوق الطفل وحرياته، فأي انتقاص من الحريات والحقوق التي كفلتها الشرائع السماوية للطفل، يعتبر إساءة إليه وعدوانًا موجهًا إليه، مثل حق الطفل الأصيل في الحياة والبقاء والنماء، وحقه في الأنتساب إلى والديه وحقه في الحصول على اسم وجنسية، وحقه في الرعاية الصحية، وحقه في المعاملة الحياتية، وحقه في الأستمتاع واللعب.

ثالثاً: الطفل:

عرف الطفل في أتفاقية حقوق الطفل المادة أولاً " بأنه كل أنسان لم يتجاوز الثامنة عشر ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك (أتفاقية حقوق الطفل،١٩٩٠،ص٢)

الفصل الثاني الأطار النظري
المفاهيم الأساسية للعنف

مفهوم الإساءة أو العنف من الناحية الطبية : كان وراءه ماتعرض له الاطفال أبان الثورة الصناعية في أوربا , حيث الذي لا يرحم، في ظل الرغبة المحمومة من رجال الصناعة لزيادة أرباحهم مما دعا عددًا من المفكرين والمصلحين للمطالبة بتصحيح أوضاع هؤلاء الأطفال وتحسين ظروف

عملهم، حتى إنه ظهرت في بريطانيا في نهاية القرن التاسع عشر "الجمعية الملكية للرفق بالأطفال، وإن كانت قد أُنشئت بعد "الجمعية الملكية للرفق بالحيوان" ولكي نعرف حجم المعاناة التي لقيها الأطفال في عهد الثورة الصناعية، سنجد أن البرلمان الإنجليزي أجاز تشريعات عام ١٨٠٢، بتحديد ساعات العمل اليومية للأطفال بـ ١٢ ساعة، وقد كانت ١٦ ساعة، ومنع تشغيل الأطفال قبل سن التاسعة، وقد كانت القسوة أو القهر هي السمة الغالبة في معاملة الآباء لأبنائهم، فهذا هو والد – كما أشارت بعض الصحف حينذاك – يعاقب ابنته البالغة من العمر ١٦ شهرًا بالحبس، لأنها لم تنادي أمها بـ "عزيزتي ماما" وضربها بالسوط، لان الطفلة ظلت على عنادها وعدم الأستجابة لأوامره، ومعاملة الأبناء القاسية هذه هي التي مهدت أن يكون النموذج الطبي هو النموذج المستخدم في دراسة مشكلة الإساءة إلى الأطفال ومواجهتها. وقد وصف أحد أطباء الأشعة في أربعينيات القرن العشرين – جملة أعراض يعاني منها بعض الأطفال تتمثل في كسور بعظام اليدين أو الرجلين أو نزيف في الأغشية المبطنة للمخ. المفهوم النفسي للعنف أو الإساءة ضد الطفل : ويستند المفهوم النفسي للعنف على النظريات ومنها السيكودينامية في علم النفس وعلى رأسها وفي مقدمتها نظرية التحليل النفسي لـ "سيجموند فرويد" والنظرية المتعلقة بـ "جون بولي". وقد ظل النموذج الطبي هو النموذج السائد في مجال علم النفس، ولكن بعد ظهور النظريات السيكودينامية (فرويد، بولي) أصبح النموذج الطبي لا يصلح لفهم إساءة الوالد إلى ابنه. ومع ذلك فإن المفهوم النفسي للإساءة أو العنف ضد الطفل يختلط بالأبعاد الاجتماعية والثقافية إلى حد كبير، فما يُحسب كإساءة أو عنف ضد الطفل من الوالد إذا حدد في ثقافة معينة لا يحسب كذلك في ثقافة أخرى. فالوالد الذي يضرب ابنه في ثقافة معينة يعتبر نفسه مؤذيًا للطفل، وتقره الثقافة التي يعيش في ظلها على ذلك ويفهمه الطفل كذلك على هذا النحو، بينما قد يُعتبر هذا الوالد في ثقافة أخرى مسيئًا للطفل وعنيفًا معه، لأنه سبَّب له أذى جسميًا أو نفسيًا نتيجة العقاب البدني. وعليه يمكن أن نشير إلى المفهوم النفسي للعنف ضد الطفل، إلى أي فعل أو الامتناع عن فعل يعرض سلامة الطفل وصحته البدنية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والروحية، وعمليات نموه للخطر والاضطراب.

وبصفة عامة فإن أي تعريف لمفهوم العنف ضد الأطفال ينبغي أن يشمل كل وجهات النظر السابقة (الشرعية والطبية والنفسية) حتى يساعد على وضع السياسات الصحية واتخاذ القرارات الصائبة لمواجهة المشكلة على أن يشمل الجهد المبذول في مواجهة المشكلة الشق التوعوي والشق التشخيصي وكذلك الشق العلاجي أو التأهيلي. وعلينا أن نتذكر دائمًا أن المشكلة كثيرًا ما تتحد في الحد الفاصل والدقيق بين السلوك الذي يدخل في باب حق التأديب الذي يمنح للآباء والمربيين والمشرفين القائمين على تربية الطفل من ناحية، والسلوك الذي يعتبر عنفًا أو إهانة أو إساءة للطفل من الناحية الأخرى.صور العنف ضد الأطفال وأشكاله:

يتناول الباحثون العنف ضد الأطفال من خلال صور وأشكال معينة، استقر عليها التراث البحثي، بعد أن يتم تصنيف السلوكيات التي تعتبر عنفًا أو إساءة إلى الأطفال. وهذه الصور هي :

١-الأساءة الجسدية

٢-الأساءة الجنسية

٣-الأساءة الأنفعالية

٤-الأساءة المتمثلة في الأهمال

وفيما يلي سأشير باختصار أيضًا إلى كُلٍّ من هذه الصور والأشكال :

١- العنف الجسمي أما عن العنف أو الإساءة الجسمية، فتعرف بأنها أي فعل يتم عن عمد، يسبب أو يؤدي إلى خطر كبير يتمثل في إحداث تشوه أو إضعاف للأداء الوظيفي الجسمي أو إصابة جسيمة خطيرة أخرى للطفل، كما عُرف العنف الجسمي أيضًا بأنه ضرر مقصود نجم عن أفعال شخص راشد، وتتصف أفعال هذا الشخص بالعنف البدني والعقاب المفرط والذي يحدث على فترات وبصورة نمطية، وهو أيضًا إحداث الأذى أو الإصابة الجسمية من خلال المعاملة ويمكن أن يتمثل العنف الجسمي طرف المتصل الذي يبدأ من التوجيه اللفظي وينتهي بالعنف الجسمي الذي يؤدي إلى إصابة وهو المتصل التأديبي الذي يتبعه الآباء بصفة أساسية والمعلمون بصفة أقل من الآباء في تعليم الأطفال وضبط سلوكهم، ويشمل هذا المتصل الصفعات واللكمات والركلات ويزيد اللسع أو الكي بالنار وإحداث الكدمات والتي قد ينتج عنها وأيًا كان القائم بالعنف الجسمي ضد الطفل، فإن هذا العنف يجعل الطفل المستهدف يشعر بالتهديد والانزعاج، وكلما كان الطفل أصغر سنًا كان أكثر عجزًا، وبالتالي زادت درجة الخوف والقلق التي يعاني منها. وهذا يعني أن العنف الجسمي ليس مجرد إيذاء للجسم ولكنه أعتداء على سلامة الطفل النفسية أيضًا. وقد تضمنت الدراسات المسحية التي أجريت على العنف الجسمي ضد الأطفال إن العنف الجسمي كان من أوائل معايير محطات العنف أو الإساءة إلى الطفل وأوردت هذه الدراسات أن الكثير من الأطفال الصغار الذين يأتون إلى المستشفيات بإصابات جسمية، بما في ذلك الكسور في العظام،

لم يكونوا قد تعرضوا لحوادث مؤسفة، بل كانوا ضحايا إساءات يرتكبها الآباء، وبعضها متعمد. وكان التشخيص الشائع حينذاك هو إصابة ناتجة عن حادثة Accidental Injury – .ومن ذلك الحين شاع استخدام عبارة أو تشخيص زمن الطفل المساء معاملته التي سبق الإشارة إليها. وتوضح الإحصاءات أن حوالي نصف معدل الوقائع الناجمة عن إساءة معاملة الأطفال تنتج عن الإساءة الجسمية وقد تحدث الوفاة نتيجة لفعل شديد العنف أو نتيجة تراكم اعتداءات وضرب منتظم. كما أن إصابات الرأس من الأسباب الرئيسية للوفاة وكثيرًا ما يغيرها ولي الأمر بأن الطفل قد سقط من على الأريكة أو من على السلالم أو من سريره. ولا نندهش إذا وجدنا أن الأطفال الأكثر احتمالاً لأن يتعرضوا للوفاة بعد هذه الاعتداءات هم الأطفال الصغار في السن، وبخاصة من هم دون الخامسة، بل إن من بين من يموتون بهذا الشكل، نجد حوالي ثلث العدد من الأطفال الرضع الذين لم يكملوا عامهم الأول

٢– العنف الجنسي أن الدراسات التي تدور حول العنف الجنسي تتمحور بمشكلتين: الأولى هي أن الأرقام التي تظهر في الإحصاءات لا تشمل الأرقام الحقيقية، فالعنف ذو الطابع الجنسي يحدث ولكن ما يتم الإبلاغ عنه – ويظهر في الإحصاءات – نسبة قليلة مما يحدث في الواقع، حيث تكون هناك رغبة في التكتم حماية لسمعة الطفل المعتدى عليه ولأسرته وأحيانًا ما تمتد الحماية أيضًا لتشمل المعتدي كذلك؛ خاصة إذا كان من أفراد الأسرة أما المشكلة فهي تحدد معايير العنف الجنسي، وما يجب من التصرفات كعنف جنسي وما لا يجب كذلك. وبداية يمكن تحديد العنف الجنسي ضد الطفل على أنه أي نشاط جنسي يتم بين شخص كبير وطفل صغير أو بين طفل كبير وطفل صغير. كما أن الإصابات في منطقة الأعضاء الجنسية ومنطقة الصدر أو منطقة الشرج كثيرًا ما تنجم عن العنف الجنسي. والتعريف المعجمي للإساءة الجنسية Sexual Abuse أو الاعتداء على الطفل؛ صورة من صور الإساءة إلى الطفل تتميز بالنشاط الجنسي. وهذه الصورة قد تأخذ شكل الإغراء الجنسي على المحارم Incest .وفيها يقوم أحد أفراد الأسرة من الكبار بالاعتداء على أحد الأطفال من الأسرة. وهناك الاغتصابRape ، وهناك المعابثة الجنسية Folding وصور السلوك الشهوي الأخرى التي يمكن أن تمارس بين شخص بالغ وأخر ينحصر عمره بين سنتين إلى المراهقة. وعنصر الإكراه أو القهر عنصر أساسي في الإساءة أو العنف الجنسي، ولكن في أحيان أخرى يستخدم المعتدي الأفراد أو الاستدراج والتغرير؛ خاصة في حالة الأطفال الصغار الذين لا يميزون ولا يعرفون طبيعة النشاط الذي يشارك فيه. والإناث في معظم الدراسات المسحية أكثر عُرضة من الذكور تعرضًا للإساءة الجنسية من جانب أحد الذكور، وفي حالات غير قليلة، يكون هذا الذكر فردًا من أفراد الأسرة أو من الأقارب أو من المعارف والأصدقاء للأسرة، وزوج الأم إذا كان سكيرًا فإنه يكون مرشحًا بقوة للقيام بدور المعتدي على بنت زوجته في كثير من الحالات، بل قد يكون الوالد الحقيقي (البيولوجي) نفسه هو الذي يقوم بالإساءة.

٣– العنف أو الإساءة الانفعالية والإساءة الانفعالية هي جوهر الإساءات والاعتداءات جميعًا وأساسها، من حيث أن كل إساءة تتضمن إساءة انفعالية وجرح لشعور المساء إليه وإهانته والحط من شأنه إن لم يكن تكديره وتعذيبه. والإساءة الانفعالية هي إنكار وحجب كل ما يزود الطفل بالإحساس بأنه موضع الحب والتقبل والقيمة. وتزويده بكل ما يناقض ذلك، حيث تُشعره الإهانة بالكراهية والرفض. ويشعر الطفل من جراء المعاملة المسيئة انفعاليًا بأنه مرفوض من والديه وغير مرغوب فيه. وقد يستشعر الطفل أساليب والديه في تربيته وتنشئته عبر الرفض كأن يشعر بأن والديه بميزان أخوته الآخرين عليه، أو أنه دونهم جميعًا يعامل بقسوة وجفاء، أو أنه مصدر التنفيس لوالديه عندما يكونان غاضبين وهو ما يُعرف بحالة كبش الفداء. كما أنه يكون دائمًا عُرضه للأساليب التي من شأنها أن تثير الألم النفسي عند الطفل ضد اللوم والتقريع والتأنيب والتوبيخ والتهكم والسخرية والمقارنة بين الطفل والآخرين عندما تكون المقارنة غير صالحة. كما أن الطفل في هذا اللون من العنف أو الإساءة، لا يحصل على المديح أو التقدير من والديه، مهما تطابق سلوكه مع المعايير الوالدية، أو مهما أطاع والديه مما يرسخ لديه الشعور بأنه طفل مكروه وغير مرغوب فيه.

٤– الإساءة المتمثلة في الإساءة المتمثلة في الإهمال تُمثل الجانب السلبي من الإساءة أو من العنف، فالطفل في هذه الصورة لا يُوجه إليه شيء يكرهه وإنما هو يحرم من شيء يحبه أو يكون مهمًا وحيويًا لنموه الجسمي والانفعالي والاجتماعي على نحو سوي. وهذا الفهم لإساءة الإهمال يتسق مع المفهوم النفسي للإساءة أو العنف السابق الإشارة إليه من أن استبعاد أي فصل أو الامتناع عن فعل من شأنه أن يُعرَّض سلامة الطفل وصحته البدنية والعقلية والانفعالية والاجتماعية والروحيةوهذه الصورة من الإساءة أو العنف (الإهمال) يسهل تشخيصها وتبينها في المجتمعات المتقدمة وفي الشرائح العليا في المجتمعات الأخرى، لأنه في مجتمعات العالم الثالث يكون معظم الآباء منهمكين في طلب أسباب العيش عند الحدود الدنيا من المطالب، ولا يكونون منتبهين في هذه الحال إلى حاجات الأطفال الجسمية والنفسية ويساعد على ذلك أن مستوى تعليمهم أو مستوى الوعي التربوي عندهم، لا يمكنهم من تبين هذه الحاجات وأهمية إشباعها لأبنائهم، وأهم مظاهر إساءة الإهمال، والحرمان العاطفي والحرمان من التعليم ونقص

التغذية اللازمة لبناء الجسم بناءً سليماً.الأهمال أو العنف المتضمن في عمالة الأطفال أن للطفل الحق في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن اداء أي عمل ضاراً بصحته ونموه وقد تضمنت المادة (٣٢) من أتفقية حقوق الطفل ذلك. وتشير نتائج المسح العنقودي لسنة (٢٠١٨) لعمالة الأطفال في العراق أن نسبة عمالة الأطفال في الفئة العمرية (٥-١٤) سنة هي (٥٪) تشكل عند الذكور (٦٪) وعند الأناث (٤٪) واغلبها تكون عند الفئة العمرية (١٢-١٤) فقد بلغت (٩٪) مقابل (٣٪) من الأطفال في الفئة العمرية (٥-١١) سنة كما أنها تشكل عند الذكور (٦٪) في حين لاتتجاوز (٤٪) عند الأناث وتبدو الفروقات واضحة وكبيرة بين الريف (١٠٪) والحضر (٣٪) وهي تقل عند الأطفال من أسرغنية (الأغنى) (٣٪) مقابل (١٠٪) من الأطفال في أسر فقيرة (الأفقر). ولان العمل يمثل أعاقة لتعليم الطفل فأن (٧٪) من هؤلاء الأطفال لايحضرون المدرسة في حين أن (٤٪) منهم مستمرين في التعليم.ولان هدف التنمية المستدامة المتعلق بعمالة الاطفال يشمل الفئة العمرية (٥-١٧) فأنه تم عرض نسبة عمالة الاطفال ضمن هذه الاعمار فهي تشكل (٧.٣٪).. أما بالنسبة لمستوى التفاوت في عمالة الاطفال حسب النشاط والجنس فتشير النتائج الى أن نسبة عمالة الاطفال في ظروف خطرة وفهي تشكل نسبة (٥.٩٪) ترتفع عند الذكور الى (٩.٢٪) مقابل (٢.٥٪) عند الأناث كذلك بالنسبة للأنشطة الأقتصادية ولكن بنسبة أقل في حين ترتفع نسبة في مجال الأعمال المنزلية عند الأناث مماهي عليه عند الذكور ومن المهم الأشارة الى أن نسبة العمالة في ظروف خطرة تصل الى (١٦٪) في الفئة العمرية (١٥-١٧) سنة (المسح العنقودي،٢٠١٩،ص٣٣)

وهذه الصورة من الإساءة لا يضمنها كل العلماء كأحد صور الإساءة والعنف التي يتعرض لها الأطفال، ولكن حجم العنف الذي يصادفه الطفل عندما يدفع إلى سوق العمل وهو ما زال طفلاً صغيرًا، يجعلنا نسلك هذا السلوك من جانب الأسرة في باب الإساءة والعنف ضد الطفل، ومقدار الأذى أو الضرر الذي يتعرض له الطفل الصغير إذا ما دفع إلى العمل بملابساته الشاقة والقاسية بما لا يتناسب مع طفولته الغضة يكون كبيرًا ولا يقل عما يحدث في أنواع الإساءات أو العنف ومما لا شك فهي أننا عندما نتحدث عن العنف المتضمن في دفع الطفل إلى سوق العمل وهو يعد طفلاً صغيرًا، لا يفوتنا أن عمل الأطفال في حالات كثيرة لا يتضمن الإهانة أو الإساءة أو العنف مثل عمل الطفل في الريف مع والده أو مع أقاربه أو جيرانه أو حتى عند الآخرين. ولكننا نقصد بالعمل المسيء للطفل ذلك العمل الذي يحدده اليونيسيف بأنه العمل الاستغلالي أو المحفوف بالمخاطر والذي يؤثر سلبًا على صحة الطفل البدنية والنفسية والاجتماعية أو الذي يحرمه من التعليم وغيره من الخدمات الإنسانية .

ولا شك أن هذه الصورة الأخيرة من عمالة الأطفال والتي يُحددها اليونيسيف، أصبحت قائمة الآن في معظم المجتمعات العربية. فمع اتجاه كثير من مجتمعاتنا إلى التصنيع، وحاجة هذه المصانع إلى الأيدي العاملة لتقوم بالأعمال غير الدقيقة وغير الفنية، ويحدث هذا بصفة خاصة في المصانع الصغيرة والتي يملكها النظام الاقتصادي الخاص . وربما كان وراء تشغيل الأطفال، وهم بعد في سن صغيرة، رغبة أصحاب الأعمال في تشغيل الصغار وذلك لقلة أجورهم، ولأنهم عناصر مطيعة في أداء ما يُطلب منهم. ولكن مما لا شك فيه أن الطفل الذي يدفع إلى مجال العمل وهو بعد صغير، قد يتعرض إلى إهانات جسمية وانفعالية – وقد تكون جنسية أيضًا. الإرشاد الأسري ومواجهة العنف ضد الأطفال

١-الإرشاد الأسري: تطوره ومنطلقاته الإرشاد النفسي أحد قنوات الخدمة النفسية، التي تُقدم للأفراد أو الجماعات بهدف التغلب على بعض الصعوبات التي تعترض سبيل الفرد أو الجماعة وتفوق توافقهم وإنتاجيتهم. وفي معظم الحالات توجه خدمات الإرشاد النفسي إلى الأفراد والجماعات الذين ما زالوا قائمين في المجال غير السوي ولكنهم مع ذلك يواجهون مشكلات لها صبغة انفعالية حادة، أو تتصف بدرجة من التعقيد والشدة عند مواجهة هذه المشكلات بدون عون أو مساعدة من الخارج، مثلما يحدث للأطفال الذين يتعرضون للعنف والإساءة ولأن العملية الإرشادية تقوم على زيادة استبعاد الفرد، فإنها تؤكد بذلك عملية التعليم من حيث اهتمامها بتعديل أفكار الأفراد ومشاعرهم وسلوكهم نحو ذواتهم ونحو الآخرين ونحو العالم الذي يعيشون فيه. ومن هنا نقول إن الفرد الذي يُمد بخبرة إرشاد نفسي ناجحة؛ يمر بخبرة نمو وارتقاء نفسي في الوقت ذاته. وقد نشأ الإرشاد النفسي في أحضان حركة التوجيه المهني والتربية المهنية، وعلى الأصح فقد نشأ من التقاء هذه الحركة مع تيارات وحركات أخرى متمثلة في العلاج النفسي والخدمة النفسية. ولقد كان للحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨). وكذلك الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) وما حدث بينهما من أزمات اقتصادية وتدخل حكومي، تأثير هائل في تطور الخدمات النفسية وعلى رأسها الإرشاد النفسي، خاصة في مجال المواد والأدوات وقد تأسس الإرشاد النفسي وتأثرت مكانته ووظيفته كخدمة نفسية بظهور علماء أمثال "كارل روجرز" صاحب توجه الإرشاد النفسي غير المباشر الذي يتسق مع التوجهات الديمقراطية، ويعطي العميل الحرية كما يحمله المسئولية، وتنحصر مهمة الإرشاد في مساعدة المسترشد على الاستشعار بذاته ومشاعره وأفكاره، والعمل على إتاحة أكبر عدد ممكن من البدائل يختار من بينها العملين وعلى مسئوليته، ما يناسبه وشيئًا فشيئًا اكتشف المعالجون والمرشدون على السواء في ممارستهم أن الأسرة عنصر أساسي في كل المشكلات السلوكية والاضطرابات النفسية، حتى في المشكلات والاضطرابات التي يكون لها أساس عضوي واضح، وكذلك فإنه فيما يتعلق بالأطفال المعوقين، فإن استجابة الأسرة

للإعاقة ومدى تقبلها يكون له تأثير كبير جدًا على الطفل المعوق يفوق التأثير السلبي الذي تحدثه الإعاقة. وبالتالي فلم يجد المعالجون والمرشدون بُدًا من التفاعل مع الأسرة على نحو أكثر كثافة وعمقًا من حيث التشخيص وفهم الاضطراب ومن حيث رسم خطة العلاج والحقيقة أن تعامل المعالجين والمرشدين مع الأسرة مر بثلاث مراحل مميزة. كانت الأسرة في المرحلة الأولى مصدرًا للمعلومات؛ حيث يسأل المعالج أو المرشد الأم أو الأب عن بعض المعلومات عن الطفل، ومتى فُطم ومتى تم ضبط عملية التبول والتبرز، وما كانت ردود فعله أثناء تعليمه هذه العادات وأسلوب تنشئته بصفة عامة. والمرحلة الثانية عوملت الأسرة كأحد العوامل المهمة والمؤثرة في نمو واضطراب الطفل، والمرحلة الثالثة والأخيرة، هي الإرشاد والعلاج النفسي الأسري، وأصبح ينظر إلى الأسرة باعتبارها الكيان المستهدف للإرشاد والعلاج وليس الطفل أو أي فرد في الأسرة. فالطفل هو ضحية الأسرة ومن يحتاج إلى المعالجات والإرشاد هو الأسرة وليس الطفل، أو أن يتم إرشاد علاج الطفل على الأقل في إطار إرشاد وعلاج الأسرة. وأي جهد علاجي أو إرشادي يبذل مع الطفل بعيدًا عن الأسرة لا طائل من ورائه ولا فائدة حقيقية تُرجى منه، مما سأوضحه بشكل أكبر في الفقرة التالية

لماذا كان الإرشاد الأسري أنسب الأساليب لمواجهة العنف ضد الأطفال قيمة الإرشاد الأسري وإمكانياته ينطلق الإرشاد الأسري من حقيقة يُسلَّم بها المرشدون النفسيون، وهي أن الأسرة هي الوحدة التي تحتاج إلى الخدمة النفسية، وليس أحد أعضائها فقط، وأن مرض العضو الذي حددته الأسرة كمريض أو كمضطرب، ليس إلا أحد أعراض ضعف الأسرة واختلال أداء الوظائف فيها، والعضو الذي أفصحت الأسرة من خلاله عن اضطرابها عادة ما يكون أضعف الحلقات ولقد وضح جليًا أمام المنظرين والممارسين على السواء في مجال العلاج النفسي والإرشاد النفسي، أن الأسرة ليست عاملاً مهمًا فقط في نشأة الاضطراب والمرض عند أي فرد من أفراد الأسرة، ولكنها عامل حاكم وأكثر مما كان يظن. ورغم أن العوامل الوراثية كلها تتم في أحضان الأسرة، فإننا عندما نتحدث عن الأسرة كعامل بيئي، حتى في الإطار (البيئي) عامل بيئي مهم، بل أهم العوامل فيما يتعلق بالجوانب الوجدانية والاجتماعية والخلقية. وبدأت الأسرة تُعتبر كعامل حاكم في نشأة المرض ونموه، مع نهاية العقد الثالث من القرن العشرين، وربما كان المقال الذي نشره "ناثان أكرمان" عام ١٩٣٧ بعنوان "الأسرة كوحدة اجتماعية انفعالية" هي البداية الأولى لعلاج الأسرة وإرشادها ومن أجل ذلك يعتبر المؤرخون لحركة الإرشاد الأسري وعلاج الأسرة "أكرمان" الجد الأول لهذه الحركة وتأكد للرواد من المعالجين والمرشدين النفسيين أنه من الصعب انتزاع الفرد المسترشد من سياقه الأسري، وإرشاده بعيدًا عن أسرته، وعودته مرة أخرى إلى الأسرة التي كانت أحد العوامل الأساسية الفاعلة في انحرافه واضطرابه دون أن يحدث فيها أي تغيير. فالمنطق يحكم في هذه الحالة، أنه إذا كانت الأسرة ضالعة في نشأة اضطراب الفرد؛ فإنه لا ينبغي حتى الإرشاد والعلاج، بل يجب أن تكون حاضرة ومشاركه حتى يحدث في بنائها وفي أساليب تفاعلها التغيير المطلوب في الاتجاه السوي لتواكب وتُعزز التحسن الذي يفترض أن يحدث عند عضو الأسرة وقد كان التحول في حركة الإرشاد والعلاج النفسي بصفة عامة نحو الأسرة استجابة لأوجه القصور التي اكتشفت في التوجهات العلاجية والإرشادية الأخرى. وقد كتب مدير مؤسسة العلاج العقلاني الانفعالي في فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو أحد مؤرخي الإرشاد والعلاج النفسي "أنه خلال الستينيات والسبعينيات – من القرن العشرين – كانت المداخل العلاجية النفسية التقليدية تواجه بسيل عنيف من الانتقادات المريرة من المنظرين والممارسين على السواء، لأنهم تركوا العلاج النفسي في حالة كاملة من الخلط ويؤكد هذه الشهادات مؤرخ آخر وهو من يرعى علاج الأسرة في واشنطن عندما يقول أن التغييرات السريعة تجعل الأسرة تبحث عن النصح والتوجيه عند ذوي الخبرة. وينبه إلى أن هذه التغيرات المتلاحقة تؤثر على الأسرة وبالتالي على أفرادها. وهذا ما ينبغي أن يضعه المعالجون والمرشدون في اعتبارهم إذا كان لهم أن ينجحوا في علاج مسترشديهم ومرضاه قيمة الإرشاد الأسري لمواجهة مشكلة العنف ضد الأطفال بصفة خاصة إن أهمية الإرشاد الأسري دون غيره من التوجهات الإرشادية الأخرى تقوم على حقيقة بسيطة، وهي أن الأسرة في معظم الحالات هي مصدر العنف والإساءة ضد الطفل، فالعنف الجسمي في الغالبية العظمى منه مصدره الآباء، وقليل منه مصدره المعلمون عندما يلتحق الطفل بالمدرسة، وإن كانت التشريعات والتوجهات الحديثة لوزارة التربية تمنع ضرب التلاميذ في المدارس أيًا كانت الأسباب، أما الآباء فهم مستمرون في عنفهم ضد أبنائهم وبعضهم لا يعرف الحدود بين التأديب والعنف وبين التربية والتنشئة، وتعليم النظام أو بين الإهانة والإيذاء والإساءة، وبالتالي فهم بأسم التربية ينتهكون حرية الطفل ويؤذون مشاعره ويحطون من قدره وكذلك فالعنف المتمثل في الإهانة أو العنف الانفعالي والذي يتألف من الدرجات العالية من اللوم والتقريع والتأنيب والسخرية والتهكم والمقارنة بين الطفل وغيره، عندما تكون المقارنة في غير صالحه، وغيرها من الأساليب التي من شأنها أن تسبب الألم النفسي وتثير الإثم والذنب. وهذه الممارسات لا تقوم بها الأسرة، خاصة الأم التي لا تلجأ إلى العقاب البدني الذي يلجأ إليه الوالد بشكل أكبر – ولكن تلجأ إلى أساليب الإيذاء الانفعالي وما يقال عن الإساءتين السابقتين يقال عن الإساءة أو العنف الجنسي، فكثيرًا ما يكون المعتدي من داخل الأسرة، وإن كانت هذه الإساءة لا تظهر

في الإحصاءات بحجمها الطبيعي، وهو أمر مفهوم، لأن الأسرة تتجنب الفضيحة للطفل المعتدى عليه وللشخص المعتدي ما دام من أفراد الأسرة. ولكن آثار هذا العدوان على الطفل وخيمة إلى أقصى الحدود أما إساءة الإهمال أو العنف السلبي، فكثيرًا ما يرتكبه الآباء غافلين أحيانًا عن خطورة هذا الأسلوب ومجبرين أو مضطرين أحيانًا أخرى بحكم انشغالهم في تدبير أمور حياتهم المعيشية بجاب نقص الوعي التربوي أيضًا، والإهمال يكاد يكون، هو الأسلوب الشائع عند الطبقات الدنيا بحكم نقص الوعي التربوي، وهو يشيع أيضًا بين كثير من أسر الطبقة الوسطى بسبب ما ذكرناه من انشغال الآباء في العمل للوفاء بمتطلبات الحياة واحتياجاتها أما فيما يتعلق بالعنف المتمثل في دفع الطفل إلى سوق العمل وهو بعد طفل لا يتحمل مثل هذه المواقف الخشنة والقاسية التي يتضمنها سوق العمل؛ فإن الأسرة هي التي تدفع الطفل إلى هذا الجحيم وتحرمه من التعليم لتدفع به إلى هذا المصير وهي التي تسرق طفولته وتُحَمله ما لا يطيق من ضغوط ومؤثرات .ونحن نعرض هنا ما يتعرض له الطفل بسبب الأسرة من عنف وإساءة، بصرف النظر عن ظروف الأسرة الاقتصادية، واختيارها أن يكون حل مشكلتها الاقتصادية على حساب أطفالها، فالآثار السلبية تحدث للطفل أيًا كانت دوافع الأسرة في سلوكها وهكذا يظهر أن الأسرة هي مصدر العنف والعدوان الأول على الطفل، وبالتالي فإن انسب الأساليب والتوجهات الإرشادية هي التوجهات التي تُضمن الأسرة عمليات الإرشاد، وترى أن الإرشاد لا ينجح إلا إذا طال التعبير الأسرة في رؤيتها للأمور، وفي أساليب تنشئة أطفالها وفي تبني وجهات نظر جديدة تتمثل في ضرورة احترام شخصية الطفل والحفاظ على كرامته والعمل على أن يحسن تقدير ذاته، وأن تُصان طفولته ليكون سبيلاً طبيعيًا لشخصية راشدة ناضجة تتحمل مسئولياتها الشخصية وتشارك في تحمل المسئوليات الاجتماعية عن رضا واقتناع وفهم، وليكن راشدًا سعيدًا في مجتمع متماسك بعض توجهات الإرشاد الأسري في مواجهة العنف ضد الأطفال إذا كانت الأسرة هي العامل الأساسي وراء أي اضطراب أو خطر يتعرض له الطفل، فإنه من الطبيعي أن يكون الجهد الإرشادي الأساسي يُوجَّه نحو الأسرة والوالدين والأخوة الأكبر بصفة خاصة، وهذا لا يعني أن كل الجهد الإرشادي سَيُوجَّه إلى الأسر بصفه عامة، ويهمل الطفل المعتدى عليه، بل أن يوجه إليه بعض الجهد "الترميم الشروخات" و "لتضميد الجراح" التي أصابته نتيجة العنف الذي مُورس ضده. الإرشاد الأسري مع الوالدين والأسرة أن الجهد الإرشادي الأساسي يوجَّه إلى الوالدين فهذا أمر طبيعي، لأن الوالد الذي لا يرى الحد بين التأديب والضرب المفضي إلى إصابة، متجاهلاً ومتخطيًا بذلك مشاعر الأبوة وقيم الإحسان إلى الصغير والضعيف، خاصة إذا كان هذا الضعف هو ابنه، هذا الوالد بلا شك لديه حاجات منحرفة أو لديه نموذج داخلي يتضمن أن هذه التربية القاسية أو الخشنة هي التربية النموذجية التي من شأنها أن تخلق رجلاً. وأغلب الظن أن هذا الوالد قد تعرض في طفولته إلى مثل هذه المعاملة، وهو يكررها بفعل النموذج الداخلي الموجه للسلوك. كذلك فإن الأم زائدة التأنيب لأطفالها واللوامة لهم دائمًا والمهينة لهم في معظم المواقف، لأنها تعتمد هذا الأسلوب في تنشئتها لهم، فإنها غالبًا ما تفعل ذلك استجابة لنموذج داخلي لديها خبرته في طفولتها، وتأكد مما رأته في بيئتها ووسطها الذي تعيش فيه. ومما لا شك فيه أن الطفل الذي سيتعرض لاعتداء جنسي من أحد أقربائه من العائلة – وإن كانت هذه الحالات قليلة في مجتمعنا – فإن هذا القريب لديه حاجات منحرفة، خاصة إذا كان متزوجًا، مما يشير إلى اضطراب العلاقات داخل النمط الأسري، خاصة بينه وبين زوجته وفي علاقتهما الخاصة على وجه التحديد. وهكذا يتضح لنا أن العنف ضد الطفل والذي يوجه إليه في معظم الحالات من الأسرة، لا بد أن يواجه من خلال مواجهة الأسرة نفسها فالأسرة هي الطرف الجاني أو على الأصح هي الطرف المنحرف وما العنف ضد الطفل إلا نتيجة لانحراف الأسرة ومن أعراض اضطرابها وخلل أداء الوظائف فيهاوعلى هذا فإن الإرشاد الأسري يُركَّز على دراسة شخصيات الآباء وطريقتهم في إشباع حاجاتهم والظروف التي اكتنفت تكوين عاداتهم السلوكية،ويعمل على تعديل هذا السلوك بإضعافه وإحلال عادات سلوكية مكانه، ويستفيد من ذلك بمختلف الاستراتيجيات المعرفية والسلوكية، وعلى رأسها تغيير قناعات الوالدين وتصحيح مفاهيمها الخاطئة في التربية، وإذا ما اقتنعنا بخطأ أفكارهما تتعدل أساليبهما السلوكية في تنشئة أبنائهما في الاتجاه الصحيح، كما يذهب إلى ذلك أصحاب الإرشاد العقلاني – الانفعالي .

وينبغي أن ينصب تصحيح الأفكار والمفاهيم الخاطئة وتعديل السلوك بالدرجة الأولى على

١- الأساليب الصحيحة – تربويًا ونفسيًا – في تنشئة الطفل

٢- حاجات الطفل النفسية، خاصة الحاجات الوجدانية والانفعالية والاجتماعية والحركية

٣- حاجات الأطفال لا تنحصر في الغذاء والكساء

٤- معرفة الأساليب الخاطئة في التنشئة ومحاولة تجنبها

٥- زيادة التواصل اللفظي يبين الزوجين وبين أفراد الأسرة، مما يصحح كثيرًا من العلاقات الخاطئة، والتفاعل غير السوي بين الوالدين بعضهما وعلاقاتهما مع بقية ألافراد

٦- مساعدة الطفل على أن يبني مفهوم ذات إيجابي

٧- أهمية الحفاظ على كرامة الطفل واحترامه لذاته

الإرشاد الأسري للطفل المستهدف للعنف هذا على الجبهة الأساسية وهي جبهة الأسرة والولدين. أما جبهة الطفل المعتدى عليه والذي مورس ضده صورة من صور العنف فإن الإرشاد يوليه رعاية خاصة حتى يعوضه عن الآثار السلبية التي نتجت عن الخبرات السيئة التي مر بها، وأهما ما يقوم به الإرشاد الأسري للطفل في هذه الحالة. العلاج والإرشاد النفسي الارتقائي الشفائي يهدف إلى أن يجعل الطفل يعيش مع والده الخبرة السابقة نفسها، والتي كانت صارمة ولكنها الآن تتم في إطار مختلف تمامًا بعد تعديل اتجاهات الوالد، وترميم خبرة الطفل الوجدانية؛ حيث يمثل الوالد هنا قاعدة للأمن والأمان بعد أن كان مصدرًا للخوف والتهديد احتواء وتفعيل السلوكيات الانفجارية، والتعرف بدلاً من ذلك على العواطف والتعبير عنها لفظيًا وتيسير وصف الصدمات السابقة والأحاسيس المرتبطة بها بما في ذلك الخوف والغضب والحزن والهلع حماية الأطفال من العنف في أتفاقية حقوق الطفل لقد أعلنت منظمة الأمم المتحدة في الأعلان العالمي لحقوق الانسان ، أن للطفولة الحق في رعاية ومساعدة خاصتين واقناعاً بأن الأسرة بأعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع والبيئة الطبيعية لنمو ورفاهية جميع أفرادها وبخاصة الاطفال. وتقر الدول المصدقة على أتفاقية حقوق الطفل بأن الطفل كي يترعرع في أسرة وتتكون له شخصية متوازنة ينبغي أن ينشأ في بيئة عائلية وجو من السعادة والمحبة والتفاهم ويتمثل بروح المثل العليا المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة وخصوصاً بروح السلم والكرامة والتسامح والحرية والمساواة والأخاء.وتنص المادة (٣٧) من أتفاقية حقوق الطفل الصادرة عام (١٩٨٩) أن الدول الأطراف عليها أن تكفل لأي طفل ألا يتعرض للتعذيب أو لغير من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاانسانية أو المهينة.كذلك تنص المادة (١٩) من نفس الاتفاقية حكماً أوسع نطاقاً حين تطلب من جميع الدول اتخاذ جميع التدابير التشريعية من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الأساءة البدنية أو العقلية والأهمال أو المعاملة المنطوية على اهمال واساءة المعاملة أو الاستغلال بما في ذلك الاساءة الجنسية وهو في رعاية والديه أو الوصي القانوني عليه أو أي شخص آخر يتعهد للطفل برعايته. (أتفاقية حقوق الطفل،١٩٨٩،ص٤).وقد وردت من ضمن بنود الاتفاقية التزام دول الأطراف الموقعة عليها بأن تضمن لجميع الاطفال الذين يخضعون لولايتها التمتع بحقوقهم وبهذا فرضت نوعين من الالتزامات هي واجب احترام هذه الحقوق والامتناع عن انتهاكها وواجب ضمانها واتخاذ التدابيرالضرورية على مستوى التشريع الداخلي بأعتباره أصبح ملزماً للدول المقعة عليه.كما أن المادة (٣) من الاتفاقية أوجبت احترام مصالح الطفل الفضلى واحترام هذا الحق عند التطبيقات القضائية والمدنية والادارية.وعليه فأن الاتفاقية فرضت التزاماً على الدول من هذه الالتزامات الاعتراف بالطفل باعتباره عضواً فعالاً في المجتمع ومواطناً صالحاً وان الحقوق التي تضمنها لصالح الاطفال وهي جزء من حقوق الانسان الدولية الواردة في الاعلان العالمي لحقوق الانسان.

التوصيات:

١- توجيه قسم الأرشاد النفسي والتوجيه التربوي وقسم علم النفس وقسم علم الأجتماع في الجامعات ومركز البحوث النفسية والتربوية في كتابة بحوث تخص العنف الموجه ضد الأطفال بما يتماشى مع حالات العنف المتزايدة على نطاق الأسرة والمجتمع.

٢- نشر ثقافة مجتمعية بين أفراد المجتمع حول الآثار السلبية لأستخدام العنف ضد الاطفال ومخاطره على سلامتهم وخاصة سلامتهم النفسية.

٣- تفعيل دور المرشدين التربويين في المدارس لأكتشاف حالات الاطفال المعرضين للعنف وكيفية حلها.

٤- تضمين المناهج الدراسية بموضوعات عن العنف الأسري وأساليب وأستراتيجيات مواجهته.

٥- توثيق حالات العنف أحصائياً من قبل وزارة التخطيط والداخلية .

٦- أيجاد برامج متخصصة للتوعية من مخاطر العنف في الصحف وشاشات التلفزة مع أعطاء المحاضرات الأرشادية والدينية والتوعوية والتوجيهية من أجل الحد من مظاهر العنف.

٧- توعية أولياء أمورالطلبة في المدارس بطرق التنشئة الصحيحة للأبناء وكيف يمكن أن يتغلبوا على المشكلات التي تواجههم في أجتماعات الأباء والأمهات ويتم القاءها من قبل المرشدين التربويين في المدارس.

المصادر

١- علاء الدين ، جهاد محمود، (٢٠٠٥) ، دور الأسرة في حماية أبنائها العاملين من العنف، عمان ، الاردن.

٢- القائمي ، علي ، (٢٠٠٤) الاطفال ومشاعر الخوف والقلق ، ط١،البحرين.

٣- العيسوي ، عبد الرحمن محمد، (٢٠٠٤)، دوافع الجريمة، ط١،عمان.

٤- العمر ، معن خليل ، (٢٠١٠) ، علم أجتماع العنف ، ط١، عمان.
٥- زهران ، حامد عبد السلام ، (١٩٨٠) ، التوجيه والارشاد النفسي، ط٢، القاهرة.
٦- المسح العنقودي متعدد المؤشرات ، (٢٠١٩) ، الجولة السادسة.
٧- أتفاقية حقوق الطفل ، (١٩٩٧)، عمان.
٨- منظمة الأمم المتحدة ، (١٩٩٧)، الأساءة للطفل ، عمان.
٩- منظمة الأمم المتحدة ، (١٩٩٧)، العنف ضد الأطفال، عمان.
١٠- منظمة الصحة العالمية ، (٢٠٠٤)، رعاية الأطفال والمراهقين المصابين بأضطرابات نفسية ، القاهرة.